مقـــــدمـــــة

مُقَدِّمَة

الحمـــد لله رب العـــالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعـــين . أما بعد ..

فهذا البحث بعنوان " لغة الشعر في سقط الزند لأبي العلاء المعري " وقد جاء اختيار هذا الموضوع نتيجة-توجيه أستاذي الدكتور مصطفى السعدني . وقد حاولت في هذا البحث أن أقـــدم قراءة للغة الشعر في ديوان " سقط الزند " وهو توجه يختلف عما ساد من ألوان النظر إلى شـــعر أبـــي العلاء ، واهتماماتها المختلفة ، المجافية لطبيعة الشعر ؛ ولذا حاولت عرض مفهومـــي – الـــذي لم أبتكره بالطبع – لأهم أبعاد لغة الشعر الفنية ؛ حرصاً مني على جلاء الأســـس الـــنظرية للـــبحث ، حتى يتبين مدى صحة ما نردده من مبادئ ، من خلال الجدل والتفاعل بين النظرية والتطبيق .

فقـــد عـــني البحث بلغة الشعر ، فحاولت استخلاص رؤية نظرية متماسكة من خلال الاطـــلاع على أكثر ما كتب في هذا الصدد وهي كتابات اختلط فيها الغث بالسمين ، والحابل بالنابل ، فضلاً على تعدد المناهج النقدية ، واختلاف اتجاهاتها ، وزوايا النظر إلى لغة الشعر. وكـــان إلحـــاحي على هذا الجانب النظري ينطلق من أهمية ضبط المفاهيم النظرية وتحديدها وضـــرورتها لكـــل بـــاحث في الشعر ، كما دفعتني إليه رغبة شديدة في إثراء البنية النظرية وتعميقها وصقلها ، حتى أستطيع مواجهة النصوص الشعرية بما يتفق مع طبيعتها . فما تزال هشاشـــة الموقـــف النظري هي السمة الغالبة على كثير من الباحثين في هذا المستوى – ولا أبرئ نفسي – ، فضلا على سطحية النظر إلى لغة الشعر التي ما تزال تسيطر علينا .

كما عني البحث – في المقام الأول – بقراءة أبعاد تلك اللغة الشعرية في ديوان "سقط الـــزند" واكتناه الرؤية العلائية فيه ، من خلال توجه يبحث عن مغامرة الوجود الإنساني في ذلـــك الشعر وحركة الروح الإنسانية فيه ، ويكشف عن حيوية تلك الروح وثرائها ، بالكشف عـــن حقيقة الوجود الإنساني إزاء ما ينطوي عليه من رغبات وما يتطلع إليه من آمال ، وما يواجهـــه من صعوبات جسيمة . لقد كان الشعر وسيظل ينطوي على مغامرة الوجود المفعمة بالصـــراع بين اليأس والأمل والإرادة والقيود ، فالشعر مناط الوعي الإنساني المشرق ، وهو مجمـــع همـــوم ، وآمـــال ، وتساؤلات عميقة ، لا يفتأ الإنسان يثيرها في بحثه عن المجهول ورحلته الاستكشافية إليه . الشعر هو تجسيد تلك الأعماق الإنسانية الخصبة .

وقـد اقتضـى ذلك تقسيم البحث إلى أربعة فصول ، تسبقها مقدمة وتمهيد ، وتعقبها خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع .

قدمت في **التمهيد** تعريفاً موجزاً بأبي العلاء ، وديوانيه (سقط الزند والدرعيات) ، كما حـاولت فيه قراءة خطبة سقط الزند بما يتفق مع حقيقة الموقف العلائي . ثم عرضت لبعض الدراسـات السـابقة بمـا يشي بأن شعر أبي العلاء لم يحظ بعد باهتمام كاف يكشف لنا عن خصوبة أعماقه وثرائها وأشرت في نهاية التمهيد إلى منهج البحث .

وجـاء **الفصل الأول** بعنوان : **أبعاد لغة الشعر** ، في ثلاثة مباحث : استقطب **المبحث الأول : لغـة الشـعر .. لغـة الغياب** – الحديث عن طبيعة لغة الشعر ، ونشاطها الرمزي ، واسـتراتيجيتها الخاصـة ، وأهـم أبعادها ، كذلك تحدثت عما يكتنف تلك اللغة من غموض شعـري ، وعن طبيعة العلاقة بين الشكل والمحتوى ، كذلك العلاقة بين الصوت والدلالة من خـلال الحديث عن الإيقاع الشعري وخصوصية العلاقة بين المظاهر الإيقاعية أو التشكيلات الصوتية ودلالاتها أو الرؤية الشعرية .

وفـي **المـبحث الـثاني : أبـو العلاء ولغة الشعر** ، ناقشت علاقة أبي العلاء باللغة والخيـال مـن خـلال الحديث عن علاقة الخيال بالإدراك الحسي والبصر والذاكرة ، واللغة وطبيعة تلك العلاقات وموقف أبي العلاء منها .

وفـي المبحث الثالث : لغة الشعر والتواصل ، تناولت الحديث عن الشعر والقيمة أو علاقـته بالحيـاة وصعوباتها ، والإنسان وهمومه ، فالشعر لا ينعزل عن الحياة ، وعما أهم الإنسـان فيهـا ، والشعر لغة فنية لابد لها من أن تنطوي في أعماقها على قيم تواصلية عبر تفاعلاتها الدلالية مع سياقها الثقافي والحضاري ، فهي ليست مفارقة لما انبثقت عنه ، وتنتمي إليه من حضارة .

وقد جاء **الفصل الثاني** بعنوان : **لغة الشعر والإيقاع** ، في ثلاثة مباحث : وعنيت فيه بإيقـاع المعنى وحركة الدلالة من خلال متابعة الرؤية الرمزية ، ففي **المبحث الأول : إيقاع المعـنى ومعـنى الإيقـاع** ، تحدثت عن المقابلة والمفارقة ، وحاولت من خلالهما تتبع إيقاع المعنى وحركته العميقة في نماذج شعرية من السقط والدرعيات ، وفي **المبحث الثاني : بنية الـزمن** ، حاولت تتبع حركة تشكل الزمن الشعري في قصائد السقط ، وفي **المبحث الثالث : الـتدوير** ، ناقشـت ظاهـرة التدوير في سقط الزند في ظل علاقتها بالرؤية وحركة الدلالة العميـقة.

كما جاء **الفصل الثالث** تحت عنوان : **لغة الشعر إشراق الوعي وتاريخ الغياب** ، في مبحثين ، اختص **الأول** منهما وهو بعنوان : **ثامنة السبع الشداد** ، بالكشف عن جوانب الممدوح / النموذج في سقط الزند ، وبنيته الرمزية ؛ وذلك لخصوصية قصيدة المدح في سقط الزند ، أو سيطرتها عليه بالإضافة إلى ما يدعى بقصائد التهنئة أو الرسائل .. وهي كلها تشكل النموذج / المشكل الذي لم يكف أبو العلاء عن تأمله والكشف عنه ، وهو يشكل عمق الرؤية في سقط الزند ومحورها ، فعرضت البنية الرمزية للممدوح / النموذج ، في السقط ، وكذلك الرحلة إليه التي لا تنفصل عنه ، بل تتشكل وحدة القصيدة من خلال الحوار والجدل بينهما .

كما اختص **المبحث الثاني** ، وهو بعنوان : **الغوابر** ، بالدرعيات وقد حاولت فيه كذلك الكشف عن البنية الرمزية للدرعيات ؛ فعرضت لجوانب رمز الدرع محاولاً قراءتها ، في ظل مظاهر أزمة الروح أو أزمة الوعي ، وعلاقة الأزمة باللغة . فكانت الغوابر أو الدرعيات تجسيدا لمأساة الوجود الإنساني .

ثم جاء **الفصل الرابع** بعنوان : **لغة الشعر الرؤية والأداة** ، وقدمت فيه أربعة نماذج تحليلية ، في أربعة مباحث : هي **المبحث الأول : طير الماء وحب العلس ، والمبحث الثاني : يوم الشر ، أزمة الروح وروح الأزمة . والمبحث الثالث : ثورة السكون وسكون الثورة ، والمبحث الرابع : حومة الدجى ونور الوعي** ، وحاولت في هذه النماذج التحليلية أن أعرض جوانب رؤية أبي العلاء في سقط الزند والدرعيات ، من خلال قراءة لغة الشعر بكل ما يرفدها من مظاهر جمالية .

وقد واجهت البحث أثناء تشكله عدة صعوبات ، أهمها خصوصية لغة الشعر لدى أبي العلاء المعري ، فهو شاعر فذ ، ليس من اليسير التعامل مع لغته ، فضلاً على قراءتها ؛ فحاولت الاقتراب منها ، بقراءة نثره مرة ، ومعاودة قراءة شعره مرات ومرات ومعايشته معايشة حميمة ؛ حتى حصلت الألفة ، بعد التوتر والصراع بين اليأس والقنوط من بلوغ لغة أبي العلاء ، والإصرار والأمل في بلوغ تلك اللغة والكشف عن أعماقها ، وبعد أن أوشكت على الرضا من الغنيمة بالإياب ، فإذا بلغته المغلقة تتكشف عن أعماق خصبة وثرية إلى حد بعيد ، وإذا بي أمام لغة ظاهرها شوك وقتاد وخشونة وباطنها يموج بصراع إنساني مرير .

وبعد فهذه محاولتي ، وهذا حصاد رحلة شاقة ، تزودت لها بكل ما أستطيع من زاد يلزم لنجاة الرحلة وسلامتها من التيه والضلال . فهل نجت الرحلة أو أخفقت وحادت عن الطريق الأمم ؟ حسبي أني اجتهدت ، وغير الخير ما قصدت ، فعلى الله قصد السبيل .

الباحث